١٩

فيأتي سبخة الجرف فيخرج اليه كل منافق ومنافقة وفي البخاري حديث لا يدخل المدينة رعب المسيح لها يومئذ سبعة ابواب على كل باب ملكان وفي مسلم حديث يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك وفي الصحيحين قصة خروج الرجل الذي هو خير الناس او من خير الناس من المدينة الى الدجال اذا نزل بعض سباخها فيقول له اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه الحديث بطوله وقال معمر فيما رواه ابو حاتم يرون هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وروى احمد والطبراني في الاوسط ورجال احمد رجال الصحيح عن جابر بن عبد الله قال اشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على فلق من افلاق الحرة ونحن معه فقال نعم ارض المدينة اذا خرج الدجال على كل نقب من انقابها ملك لا يدخلها فاذا كان ذلك رجفت المدينة باهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج اليه واكثرهم يعني من يخرج اليه النساء وذلك يوم التخليص ذلك يوم تنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد يكون معه سبعون الفا من اليهود على كل رجل منهم ساج وسيف محلى فيضرب قبته بهذا المضرب الذي بمجتمع السيول الحديث بطوله ولفظ الطبراني يا اهل المدينة اذكروا يوم الخلاص قالوا وما يوم الخلاص قال يقبل الدجال حتى ينزل بذباب فلا يبقى في المدينة مشرك ولا مشركة ولا كافر ولا كافرة ولا منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة الا خرج اليه ويخلص المؤمنون فذلك يوم الخلاص وروى احمد برجال الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الخلاص وما يوم الخلاص ثلاثا فقيل له وما يوم الخلاص قال يجيء الدجال فيصعد احدا فيقول لاصحابه اترون هذا القصر الابيض هذا مسجد احمد ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب من انقابها ملكا مصلتا سيفه فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة الا خرج اليه فذلك يوم الخلاص وقال الحافظ ابن حجر اخرج احمد والحاكم من رواية محجن بن الادرع رفعه يجيء الدجال فيصعد احدا فيتطلع فينظر الى المدينة فيقول لاصحابه الا ترون الى هذا القصر الابيض هذا مسجد احمد ثم يأتي المدينة فيجد في كل نقب من انقابها ملكا مصلتا سيفه وبقيته بلفظ الحديث المذكور الا انه قال في آخره فتخلص المدينة فذلك يوم الخلاص والمراد بالرواق الفسطاط ولابن ماجه من حديث ابي امامة ينزل عند الطريق الاحمر عند منقطع السبخة ولاحمد من حديث ابن عمر ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة اي مجراها وفي عقيق المدينة للزبير بن بكار عن ابي هريرة ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مجتمع السيول فقال الا اخبركم بمنزل الدجال من المدينة ثم قال هذا منزله يريد المدينة لا يستطيعها يجدها متمنطقة بالملائكة على كل نقب من انقابها ملك شاهر سلاحه لا يدخلها الدجال ولا الطاعون فتزلزل بالمدينة وباصحاب الدجال زلزلة لا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج اليه واكثر من يتبعه النساء فلا يعجز الرجل ان يمسك سفيهته قلت يستفاد منه ان المراد من قوله في الاحاديث المتقدمة فترجف المدينة يعني بسبب الزلزلة فلا يشكل بما تقدم من انه لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال فيستغنى عما جمع به بعضهم من ان الرعب المنفي هو ان لا يحصل لمن بها بسبب قربه منها خوف او هو عبارة عن غايته وهو غلبته عليها والمراد بالرجفة الاشاعة بمجيئه وانه لا طاقة لاحد به فيسارع حينئذ اليه من كان يتصف بالنفاق او الفسق قاله الحافظ ابن حجر وما قدمناه اولى وفي الاوسط للطبراني حديث ينزل الدجال حذو المدينة فاول من يتبعه النساء والاماء وفي حديث رواه احمد والطبراني واللفظ له ورجاله ثقات في وصف الدجال ثم يسير حتى يأتي المدينة ولا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذاك الرجل ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة افيق وروى ابو يعلى حديث الجساسة المشهور في الصحيح باسنادين احدهما رجاله رجال الصحيح وزاد فيه هو المسيح تطوى له الارض في اربعين يوما الا ما كان من طيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطيبة المدينة ما باب من ابوابها الا وملك مصلت سيفه يمنعه وبمكة مثل ذلك وفي البخاري والترمذي حديث المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون ان شاء الله تعالى وروى احمد ورجاله ثقات وابن شبة برجال الصحيح حديث المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون وروى احمد مرسلا وابنه متصلا وكذا الطبراني ورجاله ثقات حديث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل خرج من بعض الارياف حتى اذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق اصابه الوباء ففزع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا يطلع علينا نقابها يعني المدينة ونقابها وانقابها طرقها وفجاجها واحدها نقب بكسر النون وضمها وقوله في الرواية المتقدمة فلا يقربها الدجال ولا الطاعون ان شاء الله اختلف في هذا الاستثناء فقيل للتبرك فيشملهما وقيل للتعليق وانه يختص بالطاعون

يقتضي

خروج الرجل الذي ... الى الدجال ... الخضر عليه السلام

التي يخرج الى ... النسا

... محفوفتان بالملائكة

يقتضي جواز دخول الطاعون المدينة ويرده الجزم في سائر الاحاديث والصواب حفظها منه كما هو المشاهد وقد يستشكل قرن الدجال بالطاعون مع ان الطاعون شهادة ورحمة فكيف يتمدح بعدمه والجواب من وجوه احدها ان كونه كذلك ليس لذاته وانما المراد ترتب ذلك عليه وقد ثبت تفسيره في رواية احمد بوخز اعدائكم من الجن فيكون الاشارة بذلك الى ان كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من الطعن كما ان الدجال ممنوع منها الا ترى ان قتل الكافر المسلم شهادة ولو ثبت لها ان الكفار لا يسلط عليها لكان بذلك غاية الشرف ثانيها ان اسباب الصحة تمنع من الطاعون وقد عوضهم صلى الله عليه وسلم عنه بالحمى حيث اختارها ونقلها عليها كما تقدم وهي طهرة للمؤمن وحظه من النار والطاعون يأتي في بعض الاعوام والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان وفيه نظر لان تكثير اسباب الصحة مطلوب ولانه لا يدفع الاشكال التمدح بعدمه ثالثها انه وان اشتمل على الصحة والشهادة فقد ورد ان سببه ايضا شؤم الائمة كظهور بعض المعاصي وقد روى احمد باسانيد حسان وصحاح عن شرحبيل بن حسنة وغيره انه يعني الطاعون رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وروى احمد ايضا تفسير كونه دعوة نبيكم عن ابي قلابة بانه صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان لا يهلك امته بسنة فاعطيها وسأله ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطيها وسأله ان لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعه فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه فحمى اذا او طاعونا كرره ثلاثا فقد تضمن الطاعون نوعا من المؤاخذة لانه صلى الله عليه وسلم دعا به ليحصل كفاية اذاقة بعضهم بأس بعض اذ يكون هلاكهم حينئذ بسبب لا يؤجرون به بل يأثمون فحفظ الله تعالى بلد نبيه صلى الله عليه وسلم من الطاعون المشتمل على الانتقام اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل لهم الحمى المضعفة للابدان عن اذاقة بعضهم بأس بعض والمطهرة لهم فقوله صلى الله عليه وسلم فحمى اذا اي للموضع الذي لا يدخله الطاعون بل عصم منه وهو جواره الشريف وقوله او طاعونا اي للموضع الذي لم يعصم منه وهو سائر البلاد هذا ما ظهر لي في فهم هذه الاحاديث وهو يقتضي شرف الحمى الواقعة بالمدينة وفضلها لانها دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم ورحمة ربنا ايضا لانها من لازم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولانها جعلت في مقابلة الطاعون الذي هو رحمة لغيرهم فيكون الحمى رحمة لهم فهي غير حمى الوبا الذاهبة من المدينة رابعها ذكره الحافظ ابن حجر نقلا عن القرطبي وهو ان المعنى لا يدخل المدينة من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس قال الحافظ ابن حجر وهو يقتضي ان الطاعون يدخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة وتبعه جمع جم من آخرهم النووي بان الطاعون لا يدخل المدينة اصلا ولا مكة ايضا لكن نقل جماعة انه دخل مكة في الطاعون العام سنة تسع واربعين وسبعمائة بخلاف المدينة فلم يذكر احد قط انه دخلها اصلا ثم ذكر الحافظ ابن حجر الحديث المتقدم المشتمل على ذكر مكة ايضا ثم قال وعلى هذا فالذي نقل انه وجد بمكة ليس كما ظن ناقله كونه طاعونا بل وباء وهو اعم من الطاعون او يجاب بجواب القرطبي المتقدم قال ولعله بنى جوابه على ان الطاعون ما ينشأ عن فساد الهوى فيقع فيه الموت الكثير وليس كذلك ففي الصحيح قول ابي الاسود قدمت المدينة وهم يموتون بها موتا ذريعا فهذا وقع بالمدينة وهو وباء ولكن الشأن في تسميته طاعونا قال والحق ان المراد بالطاعون في هذه الاحاديث الذي ينشأ عن طعن الجن فيهيج به الدم في البدن فيقتل فهذا لم يدخل المدينة قط قلت نقل الزركشي عن القرطبي انه فسر الطاعون بالموت العام الفاشي وهو صريح في انه اراد ما نقله عنه الحافظ ابن حجر ويرده قوله في الحديث المتقدم حتى اذا كان فيما بين المدينة ببعض الطريق اصابه الوباء فافزع الناس فان المراد فيه بالوباء الطاعون المعروف بعلامته عندهم والا فموت الشخص الواحد لا يفزع ولا يسمى موتا عاما او يبعد حصول الموت العام بحمى الشهادة وقد اخبر بعض الاولياء بمشاهدة الجن يقظة يطعنون الناس في بعض سني الطاعون ورأيته اذ ذاك مقاما ورأيت ان بيني وبينهم حائلا يحاذي المدينة في تلك السنة على انه لو سلم ان المراد ما ذكره القرطبي فالاشكال المتقدم باق اذ يقال لم يكثر بالمدينة وهو رحمة فالحق ما قدمناه وهذا كما قال بعضهم من المعجزات العظيمة المستمرة التي هي من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لان الاطباء باجمعهم قد عجزوا عن دفع الطاعون عن بلد ما في دهر من الدهور وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة مع انه يقع بالحجاز الشريف ويدخل قرية الينبع وجهة الفرع والصفراء والجحفة وغير ذلك من الاماكن القريبة من المدينة ولا يدخلها كما شاهدنا ذلك في طاعون اواخر سنة احدى وثمانين وثمانمائة مع اوائل التي بعدها فانه عم اكثر الاماكن القريبة من المدينة وكثيرا من بواديها

قوله

مطلب الطاعون دخل مكة ٧٤٩

وطاعون ان الطاعون يدخل ينبع والفرع والصفرا والجحفة